فتوى
حول الهجمة الصليبية الأمريكية على أفغانستان

بقلم؛ الشيخ حسن محمد قائد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المجاهدين، وقدوة الصابرين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى من اهتدى بهديهم واقتفى آثارهم إلى يوم الدين.

وبعد...

قال الله تعالى: {الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو الفضل العظيم إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين} [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥]، وقال تعالى: {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير} [البقرة: ١٢٠] وقال سبحانه: {ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا} [البقرة: ٢١٧]، وقال سبحانه: {ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون} [آل عمران: ٦٩]، وقال سبحانه: {والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير} [الأنفال: ٧٣].

فحسبنا الله ونعم والوكيل... حسبنا الله ونعم الوكيل... حسبنا الله ونعم الوكيل.

تتعرض إمارة أفغانستان الإسلامية هذه الأيام إلى هجمة شرسة عبر وسائل الإعلام العالمية المختلفة بغية تمهيد الطريق وتهيئة الأجواء والآراء لما ستقدم عليه قوى الكفر العالمية التي تتزعمها أمريكا من غزو هذه الدولة الإسلامية الناشئة، وذلك بعد أن تعرضت مدينتا نيويورك وواشنطن لهجمات قوية ومفاجئة هزت الكيان الأمريكي كله، وزلزلت الهالة الأمنية الضخمة التي ما فتئت تفتخر بها الولايات المتحدة الأمريكية، وزعزعت المكانة التي تسعى بكل جهدها للحفاظ عليها.

فوجدت أمريكا عدوةُ الإسلام والمسلمين الفرصة سانحة، والظرف مهيئاً لاغتنامه في إشعال نار الحرب، وتوجيه ضربات متتالية إلى إمارة أفغانستان الإسلامية، واستخدام كافة الأساليب لتقويضها وإضعافها، وقطع الطريق أمام استمرارها في التكوين والبناء، وذلك بعد

أن رأت أن هذه الدولة – حفظها الله – قد خرجت عن الخط العام العالمي، وخالفت بسياساتها ومواقفها ما يسمى بالإرادة الدولية، واصطدمت بسبب استقلال نظامها الإسلامي بالمجتمع الدولي، وقرارات الأمم المتحدة، ومجلس الأمن الدولي، فأسقط في أيدي الكفرة الذين قضوا السنوات الطوال وهم يقفون بالمرصاد وبكل ما أوتوا من قوى أمام أي مسعى لإقامة دولة إسلامية، فما إن وقعت هذه الحوادث – وفي غمرة سكر العالم بسبب صخبها وضجيجها – حتى شمروا عن سواعدهم واجتهدوا في مساعيهم لأجل القضاء التام على هذه الدولة الإسلامية التي يرون فيها عدوهم الأول، وخصمهم الذي تتهدد به مصالحهم.

ولذلك فإن ما تتعرض إليه إمارة أفغانستان الإسلامية اليوم إنما هو هجوم سافر، واعتداء صارخ ومكيدة مدبرة من أجل القضاء على دولة إسلامية قائمة بأحكام الله، ومحكِّمة لشريعته، واستهداف لشعب مسلم أبيٍّ أبى أن يرضى بحكم سوى حكم الله، أو يدين لشريعة إلا شريعة رب الأرباب.

وإن القائمين على هذا العدوان، والمحرضين عليه، والمستهدفين لهذه الدولة، ولشعبها المسلم، إنما هم قوم كفارٌ من ملل شتى ونحل متعددة، من النصارى واليهود والملحدين والمرتدين، وإن كان المتزعم لهم والقائم عليهم هي دولة واحدة وهي الولايات المتحدة الأمريكية؛ إمامة الكفر ورأس العداوة للإسلام والمسلمين، فهي معركة بين أهل الإيمان وأهل الكفر، وحرب بين أهل الحق وأهل الباطل، يرمي فيها الباطل بكبريائه وبطره وغروره إلى استئصال شأفة الإسلام في هذا البلد الإسلامي، ويروم إذلال وإخضاع حكومته وشعبه لتدور في الفلك الأمريكي الكافر، وتنساق بتبعية تامة وراء إرادات الكفر ورغباته وأهوائه.

ومن هنا فالواجب على المسلمين في العالم كافة أن يعلموا حقيقة هذه المعركة معرفة تامةً، وأن يدركوا أبعادها إدراكاً جلياً واضحاً، وأن يفهموا مغازي أصحابها فهماً صحيحاً منبثقاً عن فهمهم لطبيعة العلاقة بين أهل الكفر وأهل الإيمان، حتى يقفوا الموقف الشرعي الواجب المتحتم عليهم.

وذلك من خلال الأمور التالية:

الأول:

من المعلوم أن الجهاد الأفغاني السابق ضد ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي كان من أجل طرد عدو غاصب داهم أراضيهم، وشردهم، وقتلهم، وهدم ديارهم، وأهلك حرثهم، ومن أجل إقامة دولة إسلامية على أنقاض الحكم الشيوعي الإلحادي الذي كان حاكماً في أفغانستان، وقد يسر الله سبحانه وتعالى تحقيق ذلك المسعى بعد تضحيات باهظة، وسنوات

طويلة من العناء المتواصل والمشاق المتنوعة، حتى قامت إمارة أفغانستان الإسلامية حيث جاءت منحة من الله سبحانه وتعالى ورحمة بهذا الشعب المسلم الذي تجرع جميع صنوف البلاء والتمحيص، ولقد كان للشباب الإسلامي من أنحاء العالم كافة – لا سيما العربي – موقف مؤيد تأييداً صريحاً لذلك الجهاد، وكان لهم دور فعال في تلك الحقبة، مما أثبت قولاً وعملاً أن أمة الإسلام أمة واحدة، وإن مصيبة أي شعب مسلم وإن نأى هي مصيبة الأمة كلها.

الثاني:

إن العلماء الثقات الأثبات قد ناصروا ذلك الجهاد بفتاواهم ومواقفهم وتحريضهم، وقد أطبقت كلمتهم على أن الجهاد فرض عين في أفغانستان، وكان لفتاواهم صدى كبير واستجابة واسعة في أوساط الشباب لا سيما الفتاوى القوية الصريحة التي كان يصدرها الشيخ عبد الله عزام رحمه الله تعالى وهو يعيش وسط المعمعة، وتحت جمر القذائف، وكان مدار تلك الفتاوى على أن العلماء متفقون على تعين الجهاد إذا داهم العدو أرضاً من أراضي المسلمين كما هو الحال في غزو الاتحاد السوفيتي لأفغانستان

الثالث:

إن الهجمة التي تتعرض لها أفغانستان اليوم لهي أشد وأشرس وأقوى من تلك الهجمة الإلحادية السابقة، يبين ذلك أن الهجمة الحاضرة قد تآلبت فيها قوى الكفر كلها، وتجمعت جيوشه، وتكالبت قواه، وتحزبت أحزابه، ورمت هذه الدولة المسلمة عن قوس واحدة، فصار الحال كما حدث للمسلمين في غزوة الأحزاب التي وصفها الله سبحانه وتعالى بقوله: {إذا جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا} [الأحزاب١٠ – ١١].

كما أن هذه الحرب ليس مقتصرة على نوع واحد من أنواع الحروب، وليست محصورة في المواجهات العسكرية في ساحات النزال، بل استباح فيها الكفرة وسوغوا لأنفسهم استخدام كل الأساليب وسائر الوسائل الأخرى من قصف، واغتيالات، وخطف، وحصار اقتصادي، وإغلاق محكم للحدود من جميع جهاتها، وتشويه إعلامي وبث الكذب والأراجيف، والسعي لإيجاد نظام علماني سافر كافر موال لهم ومرتم في أحضانهم، كل ذلك من أجل القضاء على الإسلام والمسلمين في هذا البلد قضاء تاماً، ومحوه منها محواً كاملاً، نسأل الله أن يخيب سعيهم.

الرابع:

إذا كان الجهاد الأفغاني السابق ضد قوات الإلحاد كان من أجل إخراجها وطردها من البلد وإقامة شريعة الإسلام، فإن الحرب هذه المرة ستكون لأجل حماية هذه البلد، والدفاع عنها بالنفس والنفيس لمنع وقوعها تحت سيطرة الكافرين، وكذلك من أجل الحفاظ على دولة الإسلام القائمة، وصيانة أحكامه الحاكمة، وإبقاء شريعته المهيمنة، والمنع من إعادتها تحت أنظمة الكفر التي قدم الشعب الأفغاني أكثر من مليوني شهيد من أجل إقصائها وإزالتها عن البلاد، فهو جهاد من أجل الإبقاء على أمرٍ شرعي قائم مشاهد لا لبس فيه ولا غبش.

وبناء على كل هذه المقدمات فإن الواجب على المسلمين في هذه الحالة:

أولاً:

أن يعلموا أن هذه الحرب التي يُعدُّ لها ليس المقصود بها شخصاً واحداً، ولا شعباً واحداً، ولا طائفة معنية، ولا جماعة من الجماعات، وإنما المقصود بها والمستهدف من ورائها هم المسلمون جميعاً، والذين أصبحت تتكون لهم دولة مستقلة، تعبر عن آرائهم، وتحكم فيها شريعة ربهم، وتحفظ وتأوي المستضعفين والمضطهدين من أبنائهم، ألا وهي إمارة أفغانستان الإسلامية بإمرة أمير المؤمنين الملا محمد عمر مجاهد حفظه الله، فدين الإسلام ليس دين طالبان وحدها، والدفاع عنه ليس مهمة الأفغان وحدهم، والذود عن أراضي المسلمين ليس مفروضاً عليهم بمفردهم، وتحمل المشاق والتكاليف ليس مقتصراً عليهم فحسب، وإنما هو مهمة كل مسلم انتمى لهذا الدين، وانتسب لهذه الملة، سواء كان عربياً، أو أعجمياً، آسيوياً، أم أوربياً، بعيداً أم، قريباً، وهذه الحقيقة الشرعية الثابتة لا بد أن يدركها كل مسلم، وأن يعيها وعياً تاماً، وأن لا يكون ضحيةً لوسائل الإعلام المغرضة التي تبث أكاذيبها وتنشر أراجيفها بكل تركيز محاولةً الفصل بين حرب الإسلام والمسلمين وبين ما تسعى إليه الولايات المتحدة الأمريكية وأتباعها وحلفاؤها.

فالواجب أن نأخذ نحن المسلمين أحكامنا وتصوراتنا وتقويمنا للأمور من منظورنا الإسلامي الخاص المجرد البعيد عن التشويش والتشويه، وأن نتخذ مواقفنا ونصدر آراءنا تبعاً لأحكام الشرع الخالص، فكتاب ربنا يقول: {إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور أذن للذين يقاتَلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير} [الحج: ٣٨ – ٣٩]، ويقول عز وجل: {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض} [التوبة٧١:]، ويقول مبيناً لنا حقيقة الكافرين وكاشفاً عن خبايا نفوسهم: {ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق} [البقرة١٩٠:]، وقال سبحانه: {ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء} [النساء: ٨٩] وقال: {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير}

[البقرة: ١٢٠]، وهذه الحقيقة كما تقررها الأدلة الشرعية فإن أئمة الكفر القائمين على هذه الحملة قد صرحوا في لقاءاتهم أن ما يقصدونه ضد هذه الدولة الإسلامية هو "حرب صليبية"، وهي كلمة تكفي لمن أراد أن يعرف نوايا القوم ويدرك الدافع الحقيقي لحملتهم، فليس بعد هذا التصريح وهذه الكلمة ما يبقي غبشاً أو لبساً على السبب الحقيقي لإشعال نار الحرب وجلب كل تلك الجيوش.

ثانياً:

اتفق العلماء خلفاً وسلفاً على أن أي بلد إسلامي دهمه العدو فإنه يتعين على أهل تلك البلد أن يقاتلوهم ويدفعوهم ويحفظوا بلدهم بكل ما أوتوا من قوة، فإن عجزوا أو تقاعسوا أو تهاونوا انتقل الواجب إلى من يليهم وهكذا إلى أن يعم الفرضُ الأمةَ كلها، فيجب على كل فرد من أمة الإسلام أن يساهم في دفع ذلك العدو بما يستطيع بالنفس، وبالمال، وبالتحريض على الجهاد، وبتخذيل الكفار، وإلقاء الوهن والرعب في قلوبهم، وبث الفرقة والاختلاف في صفوفهم، وحتى أصحاب الأعذار ممن لا يستطيعون الجهاد أو لا يجدون إليه سبيلاً إنما أسقط الله عنهم الإثم بشرط أن ينصحوا لله ولرسوله، كما قال تعالى: {ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم} [التوبة: ٩١].

وأعظم النصح في مثل هذه الحال هو التحريض على الجهاد، ورفع همم المجاهدين، وإنفاق الأموال على الفقراء القادرين على النفير، وحفظ وكفالة أسر وذوي المقاتلين، وتوهين عزائم الكافرين، والدلالة على مواطن ضعفهم ومكامن عجزهم، وغير ذلك من الأعمال التي تدفع المجاهدين وتحمي ظهورهم، وتخذل الكافرين وتربك مساعيهم.

قال الجصاص رحمه الله: (ومن النصح لله تعالى حث المسلمين على الجهاد، وترغيبهم فيه، والسعي في إصلاح ذات بينهم، ونحوه مما يعود بالنفع على الدين، ويكون مع ذلك مخلصاً لعمله من الغش لأن ذلك هو النصح) [أحكام القرآن: ٣٥٢/٤].

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: (فنفى سبحانه عن هؤلاء الحرج، وأبان أن الجهاد مع هذه الأعذار ساقط عنهم، غير واجب عليهم، مقيداً بقوله: {إذا نصحوا لله ورسوله}... والنصح لله الإيمان به، والعمل بشريعته، وترك ما يخالفها كائناً ما كان، ويدخل تحته دخولاً أولياً نصح عباده ومحبة المجاهدين في سبيله، وبذل النصيحة لهم في أمر الجهاد، وترك المعاونة لأعدائهم بوجه من الوجوه) [فتح القدير: ٣٩٢/٢].

ومما يؤكد أمر الجهاد في مثل هذه الحال قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين} [التوبة: ١٢٣] ومن

داهم ديار المسلمين، وهاجم أوطانهم، كان أقرب الأعداء إليهم وأول من يليهم منهم، وقال تعالى: {فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين} [البقرة: ١٩٤]، وقال تعالى: {وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين} [البقرة: ١٩٠]، وقال تعالى: {واقتلوهم حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد} [التوبة: ٥]، وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تلوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير} [الأنفال١٥: - ١٦]، وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون} [الأنفال: ٤٥] وقال تعالى: {وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون} [التوبة: ١٢]... وغير ذلك من الآيات القرآنية.

وهذا هو الذي دلت عليه سنة النبي صلى الله عليه وسلم كما في غزو الخندق حينما دهمت الأحزاب المدينة وأحاطوا بها فاستنفر النبي صلى الله عليه وسلم أهل المدينة ولم يستثن منهم أحداً، حتى ذم الله سبحانه وتعالى الذين يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم محتجين بأن بيوتهم مكشوفة للعدو وليس ثمة من يحميها أو يدافع عنها كما قال الله عنهم: {وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي ويقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا} [الأحزاب: ١٣]، وقد أبقى النساء والصبيان والضعفة في الحصون، وما أشبه ما يحدث اليوم بتلك الغزوة وما ألصقها بوقائعها

وها هي مقتطفات مختصرة من أقوال العلماء في هذه المسألة:

أ) مذهب الأحناف:

قال الكاساني رحمه الله: (فأما إذا عم النفير بأن هجم العدو على بلد فهو فرض عين، يُفترض على كل واحد من آحاد المسلمين ممن هو قادر عليه، لقوله سبحانه وتعالى: {انفروا خفافاً وثقالاً}، قيل: نزلت في النفير، وقوله سبحانه وتعالى: {ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه}، ولأن الوجوب على الكل قبل عموم النفير ثابت، لأن السقوط عن الباقين بقيام البعض به، فإذا عم النفير لا يتحقق القيام به إلا بالكل، فبقي فرضاً على الكل عيناً بمنزلة الصوم والصلاة، فيخرج العبد بغير إذن مولاه، والمرأة بغير إذن زوجها، لأن منافع العبد والمرأة في حق العبادات المفروضة عيناً مستثناة عن ملك المولى والزوج شرعاً، كما في الصوم والصلاة، وكذا يباح للولد أن يخرج بغير إذن والديه، لأن حق الوالدين لا يظهر في فروض الأعيان كالصوم والصلاة والله سبحانه وتعالى أعلم) [البدائع: ٩٧/٧].

ب) مذهب المالكيين:

قال المواق رحمه الله: (قال أبو عمر: يتعين على كل أحد إن حل العدو بدار الإسلام محارباً لهم، فيخرج إليه أهل تلك الدار خفافاً وثقالاً شباناً وشيوخاً، ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج من مقاتل أو مكثر، وإن عجز أهل تلك البلاد عن القيام بعدوهم كان على من جاورهم أن يخرجوا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة، وكذلك من علم أيضاً بضعفهم وأمكنه غياثهم لزمه أيضا الخروج، فالمسلمون كلهم يد على من سواهم "وعلى قربهم إن عجزوا"... وقال ابن بشير: إذا نزل قوم من العدو بأحد من المسلمين، وكانت فيهم قوة على مدافعتهم فإنه يتعين عليهم المدافعة، فإن عجزوا تعين على من قرب منهم نصرتهم، وتقدم نص المازري: إذا عصى الأقرب وجب على الأبعد) [التاج والإكليل: ٥٣٩/٤].

ج) مذهب الشافعية:

قال الرملي رحمه الله: ("الثاني" مِن حال الكفار "يدخلون" أي دخولهم عمران الإسلام ولو جباله أو خرابه، فإن دخلوا "بلدة لنا"، أو صار بينهم وبيننا دون مسافة القصر، كان أمراً عظيماً، "فيلزم أهلها الدفع" لهم "بالممكن" أي من أي شيء أطاقوه، وفي ذلك تفصيل "فإن أمكن تأهب لقتال" بأن لم يهجموا بغتة "وجب الممكن" في دفعهم على كل منهم "حتى على" من لا جهاد عليه، من "فقير وولد ومدين وعبد" وامرأة فيها قوة "بلا إذن" ممن مر، ويغتفر ذلك لمثل هذا الخطر العظيم الذي لا سبيل لإهماله) [نهاية المحتاج: ٥٨/٨].

د) مذهب الحنابلة:

قال ابن قدامة رحمه الله: ("مسألة: وواجب على الناس إذا جاء العدو أن ينفروا، المقل منهم، والمكثر، ولا يخرجوا إلى العدو إلا بإذن الأمير، إلا أن يفجأهم عدو غالب يخافون كَلَبَه، فلا يمكنهم أن يستأذنوه" قوله: المقل منهم والمكثر. يعني به – والله أعلم – الغني والفقير، أي مقل من المال ومكثر منه، ومعناه أن النفير يعم جميع الناس، ممن كان من أهل القتال، حين الحاجة إلى نفيرهم، لمجيء العدو إليهم، ولا يجوز لأحد التخلف، إلا من يحتاج إلى تخلفه لحفظ المكان والأهل والمال، ومن يمنعه الأمير من الخروج، أو من لا قدرة له على الخروج أو القتال، وذلك لقول الله تعالى: {انفروا خفافاً وثقالاً}، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: {إذا استنفرتم فانفروا}، وقد ذم الله تعالى الذين أرادوا الرجوع إلى منازلهم يوم الأحزاب، فقال تعالى: {ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا}، ولأنهم إذا جاء العدو صار الجهاد عليهم فرض عين فوجب على الجميع، فلم يجز لأحد التخلف عنه) [المغني: ١٤٧/٩].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: (فأما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين فإنه يصير دفعه واجباً على المقصودين كلهم، وعلى غير المقصودين لإعانتهم، كما قال الله تعالى {وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق} وكما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بنصر المسلم، وسواء أكان الرجل من المرتزقة للقتال - أي من الجيش الرسمي - أو لم يكن، وهذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد بنفسه وماله، مع القلة والكثرة، والمشي والركوب، كما كان المسلمون لما قصدهم العدو عام الخندق، ولم يأذن الله في تركه لأحد كما أذن في ترك الجهاد ابتداء لطلب العدو، الذي قسمهم فيه إلى قاعد وخارج، بل ذم الذين يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم {يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا} فهذا دفع عن الدين والحرمة والأنفس، وهو قتال اضطرار، وذلك قتال اختيار، للزيادة في الدين وإعلائه ولإرهاب العدو، كغزاة تبوك ونحوها) [مجموع الفتاوى: ٣٥٨/٢٨].

وقال أيضا: (وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين فواجب إجماعاً، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط، بل يدفع بحسب الإمكان، وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم فيجب التفريق بين دفع الصائل الظالم الكافر وبين طلبه في بلاده) [الفتاوى الكبرى: ٥٣٨/٥].

فعلى ضوء هذه الأقوال الواضحة الصريحة فإن الجهاد في أفغانستان إذا ما دهمها العدو أو حشد قواته لغزوها بأي صورة من صور المداهمة والحشد يصبح فرض عين على كل مسلم مستطيع، ويلزم كل واحد أن يساهم فيه بقدر استطاعته وبما في وسعه، وأن يجد ويجتهد لمناصرة إخوانه بكل ما يتيسر له، وهذا هو مقتضى الموالاة الإيمانية والأخوة الإسلامية، قال تعالى: {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض} [التوبة: ٧١]، وقال تعالى: {وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير} [الأنفال: ٧٢]، وقال تعالى: {والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير} [الأنفال: ٧٣].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة يوم القيامة، ومن ستر مسلماً، ستره الله يوم القيامة) [متفق عليه عن ابن عمر].

وقال صلى الله عليه وسلم: (المؤمنون كرجل واحد، إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) [رواه أحمد ومسلم عن النعمان بن بشير].

ثالثاً:

أن الولايات المتحدة الأمريكية بإعلانها الحرب على المسلمين وقصدها لغزو بلادهم وتأليب العالم عليهم قد جعلت كل مصالحها في جميع أنحاء العالم هدفاً مستباحاً شرعاً للمجاهدين، فلهم قصفه وتدميره ونسفه بكل وسيلة ممكنة، سواء كانت تلك المصالح والمراكز عسكرية، أو اقتصادية، أو اجتماعية، أو سفارات، أو مراكز ثقافية، أو سياحية، أو أفراداً في أي بقعة من بقع العالم لا يستثنى من ذلك شيء، وما على المجاهدين في أنحاء العالم إلا عدم قصد وتعمد قتل من نهى الشرع عن قتله من النساء والأطفال والشيوخ.

أما من قتل منهم تبعاً فلا أثم في ذلك ولا دية ولا كفارة، وليس معنى هذا أن يمتنع المجاهدون من تدمير وتفجير مراكز أمريكية بسبب وجود نساء أو أطفال فيها، وإنما المقصود هو عدم القصد والتعيين لهؤلاء في القتل فعليهم أن يقصدوا بعملياتهم الرجال البالغين حيثما وجدوا وبالكيفية المتاحة والمتيسرة لهم فمن هلك مع أولئك الرجال من النساء أو الأطفال أو الشيوخ فهم من قومهم الكفار، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الصعب بن جثامة رضي الله عنه قال: (سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الذراري من المشركين يبيتون فيصيبون من نسائهم وذراريهم؟ فقال: هم منهم) [متفق عليه].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (نعم المحرم إنما هو قصد قتلهن، فأما إذا قصدن قصد الرجل بالإغارة أو برمي منجنيق أو فتح شق أو إلقاء نار فتلف بذلك نساء أو صبيان لم نأثم بذلك لحديث الصعب بن جثامة... ولأن النبي صلى الله عليه وسلم رمى أهل الطائف بالمنجنيق، مع أنه قد يصيب المرأة والصبي، وبكل حال فالمرأة الحربية غير مضمونة بقود، ولا دية، ولا كفارة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر مَن قتل المرأة في مغازيه بشيء من ذلك) [الصارم المسلول: ٢/٢٥٨].

ومن كان في جيشهم من النساء أو الأطفال المراهقين أو الشيوخ، أو مراكز القيادة والقرارات؛ فحكمه حكم الرجال البالغين في استباحة دمه بلا فرق، فيباح قتله قصداً لقول النبي صلى الله عليه وسلم وقد وجد امرأة مقتولة: (ما كانت هذه لتقاتل)، فبين صلى الله عليه وسلم أن علة عدم قتلها هو عدم قتالها ففهم من ذلك أنها إن قاتلت قُتلت.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وإذا قاتلت المرأة الحربية جاز قتلها بالاتفاق، لأن النبي صلى الله عليه وسلم علل المنع من قتلها بأنها لم تكن تقاتل، فإذا قاتلت وجد المقتضي لقتلها وانتفى المانع) [الصارم المسلول: ٢/٢٥٨].

رابعاً:

أن كل من وقف بجانب الولايات المتحدة الأمريكية في حربها ضد المسلمين في أفغانستان أو غيرها وساندها بأي نوع من أنواع المساندة؛ فحكمه ما ذكرنا من تعين قتله ومقاتلته سواء كانت مساندته لها بنفس، أو برأي، أو بمال، أو بنفط، أو بتجسس، أو بفتح معسكرات، أو قواعد جوية، وسواء انتقل معها إلى أرض المعركة أو بقي مقوياً لها في أي مكان من العالم، فيباح لكل مسلم أن يقتله مناصرة لإخوانه المسلمين، ومعونةً لهم على أعدائهم الكافرين، وقياماً بالدفاع عن هذا الدين ونكاية وإثخاناً في الظالمين.

ومعين هؤلاء الكفرة على حربهم ضد المسلمين إن كان في أصله مسلماً فقد ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام وهو مظاهرته للكفار ومعونته لهم ضد المسلمين، وإن كان كافراً معاهداً أو مستأمناً فقد انتقض عهده وأمانه بما فعل، وإن كان كافراً حربياً فهو مباح الدم أصلاً سواء – فعل مثل هذا أم لم يفعل – إلا أن مساندته تؤكد أمر حلية دمه وتَعيُّن سفكه، قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين} [آل عمران: ١٤٩ – ١٥٠]، وقال سبحانه: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين} [المائدة: ٥١]، وقال عز شأنه: {ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون} [المائدة: ٨٠ – ٨١].

وأخيراً:

على المجاهدين أن يكثروا من التضرع والدعاء، وأن يجعلوا كلمتهم متفقة وصفهم واحداً، وأن يتجنبوا الشقاق والخلاف، وأن يعلموا علم اليقين أن النصر من عند الله، وأن أمريكا مهما امتلكت من قدرات وتقنيات، فإنها لم ولن تخرج عن ملك الله، وأن الذي أهلك الأحزاب وردهم بغيظهم لم ينالوا خيراً هو الله الذي يسمع ويرى ما يتبجح به الكفرة اليوم وما يكيدون ويمكرون به في الخفاء، فهو الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، فلتكن الثقة بالله، والاعتماد والتوكل عليه واستنزال النصر من عنده: {وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون} [الأنفال: ٧ – ٨].

فاللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزم أعداءنا وانصرنا عليهم، اللهم فرق جمعهم وشتت كلمتهم، وخالف بين قلوبهم واجعل الدائرة عليهم وأخرج المؤمنين من بينهم سالمين منتصرين ممكنين، آمين... آمين... آمين.

والحمد لله رب العالمين

وكتبه؛ حسن قائد

السبت؛ ٥ / رجب الحرام / ١٤٢٢هـ

منبر التوحيد والجهاد

* * *

http://www.almaqdese.net
http://www.tawhed.ws
http://www.alsunnah.info
http://www.abu-qatada.com

